

الأساس في الطب النفسي الافتراضات الأساسية:

الفصل السادس:

ملف اضطراريات الوعي (36)

أحلام محفوظ تنطلق من: إبداع الشخص العادي

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD31815.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2015/08/31
السنة الثامنة - العدد: 2922



مقدمة:

إذا كان الفرض الذي وضعته لماهية الأحلام وطبيعتها ووظيفتها يقول إن أيًا منا "يبدع أحلامه"، أكثر مما يصف ما جرى فيها أثناء نومه، فما هو الفرق بين المبدع الذي يُسمّى كذلك، وبين أي منا؟

وهل هذا الفرض يتيح لأي شخص أن يواصل وعيه بدوره في إبداع ذاته، وإبداع نوعه، وإبداع الحياة؟

وهل يمكن أيضا أن يقلل من دور وتمييز المبدع الفذ الذي يثرينا بأصالته، وإضافاته وفروضة ونظرياته؟

ولكن دعونا نتعرف على محفوظ وكيف يرى الشخص العادي، قبل ان نرد على هذه الأسئلة:

يقول محفوظ في فقرة "78" في أصداء السيرة الذاتية:

.. تذكرت كلمات بسيطة لا وزن لها في ذاتها مثل:

"أنت"، "فيم تفكر"؟ "طيب"، "يا لك من ماهر"...

ولكن لسحرها الغريب الغامض جن أناس..

وثمل آخرون بسعادة لا توصف..

فعقبتُ على هذه الفقرة في نقدي للأصدقاء قائلا [1]:

"... فهنا ينبهنا محفوظ إلى نوع من البلاغة تستأهل الوقوف عندها، وأنها ليست أبدا، ولا أصلا ذلك البريق الذي ينبعث من ظاهر الألفاظ أو زينة الأسلوب، وليست هي أيضا: الحكم الرصينة المختصرة التي تنطلق من مثل أو بيت شعر، بل إن الحديث بالأمثال والاستشهاد بالشعر قد يصبح ضد البلاغة بالمعنى الذي تتناوله هذه الفقرة، وربما بالمعنى الذي قال فيه صلاح عبد الصبور "يأتي من بعدى من لا يتحدث بالأمثال"، أما البلاغة التي يقدمها لنا هنا محفوظ فهي أن يحمل اللفظ - أي لفظ - معناه تماما، فيصبح سحرا قادرا أن يثمل به الناس في سعادة لا توصف، وأن يجن في صحنه آخرون.

أية ألفاظ هذه التي تسكر وتجن؟ ألفاظ غاية في السذاجة، هي في ذاتها كأصوات - أبعد ما تكون عن البلاغة مثل "أنت" هكذا فقط: "أنت"، أو "فيم تفكر"؟ نعم "فيم تفكر" أو "طيب" أكرر: إنه لفظ "طيب" ثم "يا لك من ماهر"، أعني "يا لك من ماهر"، هل أدعوك - عزيزي القاريء - أن تتوقف عند هذه الألفاظ فتكررها أنت للمرة الثالثة بصوت مرتفع، ثم تترك كل لفظ (أو تعبير) منها يرن في وعيك شخصيا دون محاولة أن تكمل، ودون محاولة أن تتذكر حوله أو به أو منه شيئا، إذا فعلت ذلك

إن أيًا منا "يبدع أحلامه"،
أكثر مما يصفه ما جرى فيهما
أثناء نومه

لو أن السَّعَى تَنانَمَ بعدَ
السَّعَى إلى السَّعَى
لرجعنا أطهر من طفل لم يولد
بعد

لو أن السَّعَى تَنانَمَ بعدَ
السَّعَى إلى السَّعَى
لرجعنا أطهر من طفل لم يولد
بعد

"هكذا"، فسوف تعرف علاقة محفوظ باللغة العادية إذا نبضت بما تعنيه، وربما تتصالح عليها وربما ترعب منها"

وأضيف الآن:

بل إنك سوف تعرف علاقة محفوظ بالعادي كله، وقدرته على أن يجعل منه ما هو ليس عاديا، أو بتعبير أدق: أن يُرجعه إلى أصله العادي كما خلقه الله، هذه الألفاظ "العادية" حين تمتلئ بمعناها "العادي"، يسرى فيها سر يجعلها تصبح سحرا يصفه محفوظ بأنه: "... لسحرها الغريب الغامض جُنَّ أناس... وتثل آخرون بسعادة لا توصف... دعوني أكرر الكلمات التي ذكرها محفوظ وهي: "قيم تفكر؟" "طيب"، "يا لك من ماهر".

بالله عليكم: ماذا في هذه الكلمات العادية ما يجعل محفوظ يرى فيها كل هذا السحر الغامض الذي يجن له أناس، ويثمل آخرون بسعادة لا توصف؟

حضرني ما يقابل ذلك قبل أن أقرأ الأصداء بعشرين عاما حين اقتحمتني مقطع في قصيدة كتبته ذات "عُمره" بعنوان "أنهار المسعى السبعة"، هذا المقطع يقول:

قال النهر الرابع

لو أن السَّعىَ تناغمَ بعدَ السَّعىِ إلى السَّعىِ

لرجعنا أظهر من طفل لم يولد بعد

لا نتكاثر بالعدَّة والعدَّ

ولعادَ المعنى

يملاً وجهَ الكلمة

يهتز الكون:

لو يعنى القائلُ "أهلاً"

أن: "أهلاً"

وحين أتاح لي ربي الفرصة أن أتعرف على هذا الإنسان - محفوظ- عن قرب جدا، فوجئت أن أروع ما يمكن أن يوصف به هو أنه "شخص عادى"، لكنه يظل "تحييا ومحفوظا" دائما!!

ما الحكاية، وكيف أربط هذا التداعى بعلاقة إبداع محفوظ، وخاصة إيداعه المسمى باسم الأحلام، وبين إبداع الشخص العادي لحمه، حسب ما جاء في فروضى؟

يبدو أن الشخص العادي ليس هو الشخص المغترب الذي تنازل كرها غالبا عن ما خلقه الله به، ولكنه "العادي" الذي استطاع أن يحافظ على ما خلقه الله به، سواء نمّاه وأعلنه في صورة ظاهرة أو نادرة تسمى باسم هذا النوع من الإبداع أو ذلك، أو عاش به وعمقه حتى يلقي خالقه وهو عليه، كما خلقه: إليه.

إن صح هذا الفرض فإنه يدعم فروضى في أنه: كيف أن الإنسان العادي يبدع أحلامه على مستوى ما خلقه الله به، ثم يحكيها على قدر ما يسمح له احتماله أو اغترابه أو الوصاية التي فرّضت عليه، سواء فرّضها بعض عقله على بقية عقله، أو فرّضتها السلطات الاغترابية[2] الملاحقة لطبيعته المبدعة تلقائيا.

قلت في فرضى الذى كررته أن الحالم إنما يلتقط من ظاهر ما تحرك فى عالمه الداخلى أثناء النوم، وبالذات أثناء نوم "الريم" (نوم حركة العين السريعة، أو النوم الحالم) فهو يلتقط ما هو فى متناولته على سطح الوعى وهو يهيم بالاستيقاظ، وفى ثانية أو بعض ثانية، يؤلف (يبدع) منها حلمه، وعلى قدر قربته من أصل مادة حلمه وحركيتها، يوصف حلمه بالوضوح أو الغموض، بالتأليف

يبدو أن الشخص العادي ليس هو الشخص المغترب الذي تنازل كرها غالبا عن ما خلقه الله به، ولكنه "العادي" الذى استطاع أن يحافظ على ما خلقه الله به

كيفه أن الإنسان العادي يبدع أحلامه على مستوى ما خلقه الله به، ثم يحكيها على قدر ما يسمح له احتمالاه أو اغترابه أو الوصاية التى فرّضت عليه

أن العالم إنما يلتقط من ظاهر ما تحرك فى عالمه الداخلى أثناء النوم، وبالذات أثناء نوم "الريم" (نوم حركة العين السريعة، أو النوم الحالم) فهو يلتقط ما هو فى متناولته على سطح الوعى وهو يهيم بالاستيقاظ، وفى ثانية أو بعض ثانية، يؤلف (يبدع) منها حلمه

أو التزييف .. الخ.

تعالوا نستمع إلى نجيب محفوظ وهو يصف هذه العملية انطلاقاً من حركية الحلم، وقد استطاع أن يمسك بها بوعيه الإبداعي، وأن يحافظ على طبيعة علاقاتها، ويضيف إليها، وهو يسمح لطبقات ووعيه كلها بالجدل وإعادة التشكيل،

فيما يلي ما قاله ونشره في "وجهة نظر" في أهرام الخميس 16 نوفمبر 2000،

قال رداً على أسئلة محمد سلماوي حول هذه التجربة "أحلام فترة النقاهاة":

"..إن الأساس المحرك في هذه القصص هو حلم حقيقي لكنه حلم ليس مساوياً للقصة كما تنتشر، فالحلم قد يمنحني الفكرة لكني أعمل على هذه الفكرة طويلاً، إلى أن تتحول إلى قصة، فمثلاً ما أخرج به من الحلم قد يكون إحساسى فى مكان عظيم الاتساع، ولكن ماذا يجرى فى هذا المكان وما هى الأحداث التى يمكن أن تنتقل للقارئ إحساسى بالمكان خلال الحلم، كل ذلك يجرى فى مرحلة تالية للحلم ... ولو التزمت بالحلم وحده لاقتصررت فى مثل هذه القصة على وصف لهذا المكان الذى رأيته فى الحلم، تلك لا تكون قصة، إذن فالحلم قائم فى كل هذه القصص، ... كل قصة منهم تتعدى الحلم إلى أن تصبح أدباً...

كنت فى السابق تأتيني أفكار الكتابة من حديثي مع الناس، أو من جلوسى على المقهى أو غير ذلك من مخالطتى اليومية للحياة، وقد تصورت بعد أن انقطعت عن هذا الاختلاط بسبب ظروفى الصحية بأن مصدر إلهامى قد ذهب بغير رجعة، لكنى فجأة وجدته يطل على من جديد فى أحلامي وكأنه يقول لى لا تقلق، سأتى لك بالأفكار والقصص دون أن تخرج إلى الشارع" تعالوا نتأمل مثلاً محدداً لهذه الدقة الرائعة التى جعلت ما أخذه محفوظ من أصل التحريك هو مجرد إحساس بمكان متسع جداً

"... ما أخرج به من الحلم قد يكون إحساسى فى مكان عظيم الاتساع، ولكن ماذا يجرى فى هذا المكان وما هى الأحداث التى يمكن أن تنتقل للقارئ إحساسى بالمكان خلال الحلم"... الخ المبدع الأصيل ، يستطيع أن يلتقط وعى الحلم ويحتفظ به، كما أنه قد يدرك أو لا يدرك أنه بإبداعه يعيد تشكيل ما وصل إليه من وعى الحلم بجدل إبداعى فائق

عند دراستى النقدية لإبداع أحلام فترة النقاهاة لنجيب محفوظ، وجدت أنه بحدسه وقدراته الإبداعية، استطاع أن يُحْضِرَ "وعى الحلم" فى بؤرة "وعى الإبداع"، وبالتالي أن يمسك بناصية توجيهه بتلقائية المبدع أساساً دون التخلي عن طبيعته الحلمية.

هكذا وصل لى أنه يقوم بتكبير ما يقوم به الشخص العادى وهو بيدع أحلامه قبيل استيقاظه، قبل أن يسطحها بالحكى، أى قبل أن تفسدها الذاكرة أو تزييفها بالإضافة وتلميع الحبكة، وهو (محفوظ) مع هذا التكبير والتوسيع والتشكيل لا يفقد الإمساك بخيوطه من كل طبقات الوعى، وهو لا يكف عن مواصلة تشكيلها مجتمعة دون أن تفقد طبيعتها الحلمية.

المبدع يمكنه أن يستدعى كل - أو أغلب- طبقات ووعيه، وأن يفرد هذا الجزء من الثانية التى يتم فيها إبداع الحلم عند الشخص العادى إلى ما يشاء من زمن الإبداع (الذى هو أيضاً ليس الزمن العادى)، وأن يحضر مع هذا وذاك قدراته وخبراته وتضيف وتعيد تشكيل وتنسج ما شاء لما شاء بأقل قدر من القصدية المباشرة.

ليس معنى ذلك أن كل مبدع يبدأ من أحلامه، لأن الإبداع طبقات ومستويات، لكن المهم هو أن للإبداع ووعيه الجدلى المشتمل الأقرب إلى وعى الحلم من قربه إلى وعى اليقظة الحاد طيب، فماذا عن تجربة "تعمل حلم" التى جرت فى العلاج الجمعى؟

المبدع الأصيل ، يستطيع أن يلتقط وعى الحلم ويحتفظ به، كما أنه قد يدرك أو لا يدرك أنه بإبداعه يعيد تشكيل ما وصل إليه من وعى الحلم بجدل إبداعى فائق

المبدع يمكنه أن يستدعى كل - أو أغلب- طبقات ووعيه، وأن يفرد هذا الجزء من الثانية التى يتم فيها إبداع الحلم عند الشخص العادى إلى ما يشاء من زمن الإبداع (الذى هو أيضاً ليس الزمن العادى)، وأن يحضر مع هذا وذاك قدراته وخبراته وتضيف وتعيد تشكيل وتنسج ما شاء لما شاء بأقل قدر من القصدية المباشرة

للإبداع ووعيه الجدلى المشتمل الأقرب إلى وعى الحلم من قربه إلى وعى اليقظة الحاد

علما بأن من قاموا بها ليسوا مبدعين (بالتعبير الشائع المميّز) وبعضهم "لا يفك الخط"
ولكن: هل أحدٌ قال أنه يشترط فيمن يحلم، ويبدع ثم يحكى حلمه على أى مستوى أن يفك
الخط!!!!
هذا ما سوف نعود إليه لاحقا .

- [1] - يحيى الرخاوى: (أصداء على أصداء" تقاسيم على أصداء السيرة الذاتية لنجيب محفوظ)
المجلس الأعلى للثقافة - 2006.
[2] - "وددت لو قلت الكافرة" لكننى عدلت لأسباب لا تخفى.

**** **

كامل نشرات " الإنسان و التطور " (اليومية) على الويب

<http://www.rakhawy.org>

www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm

*** **

خريف / شتاء 2014/2013

الإصدار

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter14.pdf>

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter14.exe>

خريف / شتاء 2013/2012

" في تجلبيات ما هو موت "

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter13.pdf

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter13.exe

ربيع - صيف 2012

... قراءة من منظور تطوري " الفصحاء "

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.pdf

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.exe

اصدار شتاء 2012

عندما يتعري الإنسان

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.pdf

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.exe